التجربة الاجتماعية في شعر خليل حاوي

الباحث

المدرس المساعد ، نعمه جهاد سلمان

Niama 1963@ yahoo. Com

الأستاذ الدكتور سعيد عدنان ، أستاذ النقد الأدبي الحديث في

جامعة كربلاء

Saeed – almuhanna @ yahoo.com

جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية

The social experience in kahlil Hawi's poetry

Researcher
Niama Jihad
Prof .
Saeed Adndn Dr professor of modern literary criticism at the university of karbala
University of Karbala - College of Educationfor Scientific humanity

الخلاصة :

يتناول البحث تجربةَ الشّاعر خليل حاوي الاجتماعيـة ، وقـد أخـذت تجربتُـهُ مسـتويين : المستوى الأوّل قدّمَ فيه وعيًا قوميًا ، والمستوى الثّاني قدّمَ فيه وعيًا طبقيًا ، وقد تنوعت الصُّور في المستوى الأوّل ، قدّمَ الشّاعرُ فيه – عبر الرؤيا – وعيًا قوميًا يتلخصُ في أنّ الأمّـةَ العربيـة أمّـةٌ معطاء ، في كلّ زمانٍ ينهضُ فيه رجالٌ أقوياء وأشـدّاء يسـتعيدون زهـو هـذه الأمـة ويحيـونَ حضارتَها من جديد ، بيدَ أنّ الزّمن الذي عاشَ فيه الشّاعر كانَ يعاني فيه من مرارةَ الانتظار ، إنّهُ كـانَ ينتظرُ البطلَ المخلّص الذي يستعيدُ لهذه الأرض مجدها الغابر ، فتارةً وجدناهُ يلفتُ أنظارَ أبناء أمّته إلى أفعال أبناء الأمم الأخرى الذينَ استطاعوا أن يُحقّقوا جوهرهم الحقيقي ، وذلكَ عنـدما أزالـوا تكلّسـات التّـاريخ المُتعفّنـة الـتي شوّهت إلى حدٍّ ما حضاراتهم ، واستطاعوا أن يعيشوا حياةً حرّةً كريمةً . بيدَ أنّ الشّاعرَ بقيَ يحلم بالانبعاث من خلال الرؤيا فتارةً يحتفي بالشمس حـينَ يـتراءى لـهُ أنّ أبنـاء الأمّـة يغتسـلونَ كيمـا يتطهروا من دنسِ الخطيئة ليزيلوا عفنَ التاريخ الذي ترسّبَ لسنوات طوال . وتارةً تحترقُ الرؤيا فيشيعُ فيها دخانٌ يشعرُهُ بالخيبة والمأساة ، تجعلُ الشّاعرَ يعيشُ صراعًا يضيعُ فيه وجههُ العربي الأصيل ، وتارةً نجدهُ يباركُ هذه الأرضَ المعطاء متأملًا أن يولدَ منها أبطال يستردّونَ مجدها التّليد ، وقد قدّمَ وعيًا رجّحَ فيه القومية العربية على المذهبية الدّينية .

الكلمات المفتاحية :التجربة الاجتماعية – خليل حاوي

Abstract:

The research deals with the experience took two levels : the first level, the poem presented – through the vision – a national consciousness that is that the Arab nation is a generous nation , at any time where strong and strong men rise up and regain the joy of this nation and revive its civilization again , however That the time lived by the poet was suffering from the bitterness of waiting , he was waiting to manifest the hero of the Savior , who reclaims this land glory of the past , the light we found draws the attention of the people of his nation to the actions of other nations who were able to achieve their true essence , when they removed the rotting history of history that had somewhat distorted their civilization and managed to lead a free and dignified life .

However , the poet remained dreaming of the resurrection through the vision , a time that celebrate the sun when it seems to him that the people of the nation are washing themselves so that they can purify themselves of the uncleanness of sin to remove the rot of history that has been deposited for years. And sometimes the burning of the vision , where the smoke is a sense of disappointment and tragedy , make the poet live a struggle in which the original Arab face is lost , and sometimes we find blessed this land giving hope to be born heroes reclaiming the glory of the tradition , has provided a consciousness in which the Arab nationalism on religious sectarianism to ensure a safe living free of conflict .

key words: Khalil Alhawi- social experience

المُقدّمة

يسهم الشَّاعر بتجربتِه الاجتماعية الشِّعرية في أن يغيِّرَ مجرى الحياة ؛ لأنَّهُ يمتلكُ قدرةً فنية راقيةً في تحريك ضمير الإنسان الذي يطَّلعُ على نصوصه الشِّعرية ، في أيَّةِ بقعةٍ من بقاع العالم . وتُعدُّ التَّجربةُ الاجتماعية نقلةً نوعيةً فريدةً في أدبنا المعاصر ؛ لأنَّها تخطَّت شعرًا ، لا حياةَ فيه مجردًا عن روح الإنسانية . كانَ همُّ الشَّاعر فيه أن يقدِّمَ شعرًا يترجمَ الطَّبيعةَ أو يترجمَ الإنسان إذا إنداحَ في الطَّبيعة ، وضاعَ في فيافيها وأغواهُ جمالُها ، فهو شاعرٌ وجداني وليسَ شاعرا اجتماعيًا .

ولكن ما ذا يفعلُ الشَّاعرُ حتَّى يخرجَ عن هذا الإطار ؟ يفترضُ بالشَّاعر أن يوجّهَ نظرَهُ إلى الحياة والكون والفن انطلاقًا من نظرةٍ فلسفيةٍ جديدةٍ للحياة ؛ لأنَّ النَّظرة الفلسفية تسهمُ في بناء حياةٍ يكونُ فيها أسعد حالًا وأبقى مآلًا . ويترتَّبُ على المُتلقي أن يحملَ حافزًا روحيًّا واعيًا كيما يفيدَ من النَّظراتِ الفكرية والوجدانية التي يقدِّمُها كبار الأدباء الذينَ كرَّسوا أدبهم لخدمة المجتمع .

فالتَّجربة الاجتماعية هي التي يصادفُ فيها الشُّعرُ الفكرَ ويقدِّمُ لنا أدبًا "يعبِّرُ عن معاناة الجماهير الحزينة المكتوبة بالآلام والأوجاع ... أو هي تقدِّمُ الكلمةَ الشّعرية رسالة من ينابيع الحقيقة إلى الإنسان . وكان من الشُّعراء خليل حاوي وهو من الشُّعراء الرُّواد الذين بحثوا عن ينابيع الحقيقة ليقدِّمَ رسالةً شعريةً تعبِّرُ عن فكرٍ التزمَ قضايا الجماهير وعانى مثلَ ما كانت تعانيه هذه الجماهير من ألمٍ ظلَّ يعتصرُها طوالَ مسيرةِ حياتِها . لقد قدَّمَ هذا الشَّاعرُ أدبًا فيهِ ما فيهِ من الفكر الواعي والحضاري لقضايا الأمَّة الراهنة فهل وعت الجماهير وانتبهت من غفلتِها وأفاقت من سباتِها ؟؟ سأحاولُ أن ألتمسَ لهذهِ الإشكالية التي طرحتُ إجابةً من مجموعته الشِّعرية .

واقتضت طبيعة بناء الدراسة أن تتوزَّعَ على مبحثين : المبحث الأوَّل خصصتهُ ؛ لاستجلاء صور الوعي القومي في شعر خليل حاوي ، أمَّا المبحث الثَّاني فكانَ لاستجلاء صور الوعي الطَّبقي في مجموعتهِ الكاملة بقصدِ توعيةِ الجماهير قوميًا ، ولتوعيتها اجتماعيًا ..

المبحث الأول

الوعي القومي

هنا في هذا المحور لا بدَّ لنا أن نبلور مفهومًا للقومية ، ولكنَّنا لن نتخطَّى جبران خليل جبران وأنطون سعادة في بلورة هذا المفهوم ؛ لأنَّ الأوَّلَ كانَ موضوع دراسة خليل حاوي و الثّاني كان زعيم ومؤسسَ الحزب السُّوري القومي الاجتماعي الذي تبنَّى خليل حاوي مبادئهُ وأفكارَهُ قبلَ رحيل مؤسِّسِهِ أنطون سعادة .

يعرّفُ جبران خليل جبران الأمة قائلًا :" الأمة مجموع أفراد متباينيِ الأخلاق والمشارب والآراء تضمُّهم رابطة معنوية أقوى من الأخلاق ، وأعمق من المشارب وأعم من الآراء . وقد تكون الوحدة الدِّينية بعض خيوط هذه الرَّابطة "[1].

ثمَّ يأتي دور فكر الحزب السوري القومي الاجتماعي في إنهاض الأمةِ العربيةِ السورية من سباتِها ، وتحديدًا بالرأي الذي ذكره مؤسس الحزب أنطون سعادة الذي اشترطَ فيهِ أن تكون الديمقراطية من الحتميات الضرورية في بناء الدولة القومية ، وذلكَ في قولِهِ:" فالدولة الديمقراطية هي دولة قوميَّة حتمًا ، فهي لا تقوم على معتقدات خارجية ، أو إرادة وهمية ، بل على إرادة عامة ناتجة عن الشِّعور بالاشتراك في حياة اجتماعية اقتصادية واحدة . الدولة أصبحت تمثِّلُ هذه الإرادة فتمثيل الشَّعب هو مبدأ ديمقراطي قومي لم تعرفْهُ الدول السَّابقة "[2]. ثمَّ بينَ مفهومَ الدولة قائلًا :" الدَّولة الدِّيمقراطيَّة لم تمثل

التَّاريخ الماضي ولا التَّقاليد العتيقة ، ولا مشيئة الله ولا المجد الغابر ، بل مصلحة الشَّعب ذي الحياة الواحدة المتمثِّلة في الإرادة العامة ، في الإجماع الفاعل ، لا في الإجماع المطاوع . تحتَ هذا العامل الجديد ، عامل القومية الظَّاهر في تولُّد روح الجماعة والرَّأي العام ، تغيَّرَ معنى الدولة من القوة الحاكمة المستبدَّة إلى سياسة المتَّحد وحكمه نفسَهُ"(٣). ويصل إلى نتيجة مفادُها :" القومية ، إذن ، هي يقظة الأمة وتنبُّهها لوحدة حياتها ولشخصيَّتها ومميَّزاتها ولوحدةِ مصيرها . إنَّها عصبية الأمة . وقد تلتبسُ أحيانًا بالوطنيةِ التي هي محبَّةِ الوطنِ ؛ لأنَّ الوطنية من القومية ، ولأنَّ الوطن أقوى عامل من عوامل نشوء الأمَّة وأهم عنصر من عناصرِها"(٤) .

نأتي إلى دور خليل حاوي لنستجلي مظاهر القومية في قصائدِه الشِّعرية ، فهو يدعو إلى مباركة الأرضَ التي تعطي رجالًا إذ يقول (٥) :

أيُّمًا تنفضُ عنها عفنَ التَّاريخ ،
واللعنةَ ، والغيبَ الحزينا
تنفضُ الأمسَ الذي حجَّرَ
عينيها يواقيتًا بِلا ضوءٍ ونارْ،
وبحيراتٍ من الملحِ البوارْ
تنفضُ الأمسَ الحزينا
والمهينا
ثمَّ تحيا حُرَّةً خضراءَ تزهو وتصلِّي
لصدى الصُّبحِ المُطلِّ
وتُعيدْ
" من ضفافِ " الكنجِ" "للأردنِ" " للنيل" تُصلِّي وتُعيدْ:
يا إلهَ الخصبِ ، يا تموزُ ، يا شمسَ الحصيدْ
باركَ الأرضَ التي تُعطي رجالًا

أقوياء الصُّلبِ نسلًا لا يبيدْ"

فدلالة هذه الأسطر تشي بأنَّ أمما تنفضُ عنها عفنَ التَّاريخ أي تنفضُ ما ترسَّبَ في أذهانِ أبنائِها من عفنٍ فكري كانَ التَّاريخُ كفيلًا باجتراحه سابقًا ، وهو في الحاضر أخذ يبسطُ سلطانَهُ على الجميع . بيدَ أنَّ هذه الأمم أفاقت من سباتِها ، وطفقت تنفضُ عنها تكلُّسات التَّاريخ العفنة ، كما أنَّها تنفضُ اللعنةَ أي تنفضُ الفكرة القائلة بأنَّ الخطيئة ملازمة لابن آدم وأنَّهُ قد ورثِها عن أبيه يومَ انصاعَ لإرادة الشَّيطان ، وعلى أثرها أضاعَ فردوسَهُ ، الأمر الذي سبَّبَ لهُ التَّعبَ والشَّقاء في الدُّنيا ، يضافُ إلى ذلك أنَّها تنفضُ الغيبَ الحزينا ، أي إنَّها تبعدُ عن طريقِها كلَّ تفكيرٍ ميتافيزيقي يجهضُ كلَّ إنجازٍ مادّي لا يقومُ ولا ينهضُ إلا على مبدأ الحركة والفعل والإقدام . زد على ذلكَ إنَها تنفضُ عنها الأمسَ بكلِّ ما يحملُهُ من حزنٍ ، وتعاسة لأبنائِها ، على أنَّ هذا الفعلَ يوفِّرُ لها أن تحيا حرَّةً غيرَ مكبَّلَةٍ بقيودٍ ، ويوفِّرُ لها الزهو والإخصاب المستمرَّيْنِ ، ومن أجلِ كلِّ هذا تُصلِّي وتصلي وتعيد ؛ لصدى الصُّبحِ الذي "ينبثقُ من أشدِّ ساعاتِ الليلِ حلكًا ؛ ليعلنَ مبدأً جديدًا هو مبدأ الإرادة ، إرادة شعبٍ حي يريدُ سعادَتَه "[٦]. وقد حدَّدَ الشَّاعر الظرفية المكانية لهذه الأمم ، إنَّها تبدأ من ضفافِ الكنجِ للأردن للنيل ، كلُّها تُصلي وتعيد من أجلِ بشاراتِ الصُّبح المشرق الذي يوحي بالانتصار . وقد فسَّرَ لنا هذا الدعاء عندما وضعَ نقطتين في نهاية السَّطر ، إنَّهُ الدعاء المقدَّم للإله تموز الذي نسبَ إليهِ الخصبَ وشمسَ الحصيد ، ثمَّ دعاهُ لمباركة الأرضِ التي تنتجُ رجالًا أشدَّاء على امتداد الزَّمن الدائري . لقد ركَّزَ الشَّاعرُ على عنصرين مهمَّين كفيلين بصنع الحياة واجتراح حضارةٍ جديدة ينعمُ بها الشَّعب ألا وهما الزمن والتاريخ ، ولكن بشرط أن يحسنَ الإنسان استخدامَ عقلِهِ وتفكيرِهِ ، لقد جعلهما حسين مؤنس مرادفين للتاريخ والزمن [٧].

يؤكِّدُ الشَّاعرُ ارتباطَهُ بوطنِهِ الكبير فيقول [٨]:

" جرفت ذاكرتي النّارُ وأمسي
كلُّ أمسي فيكَ يا نهرَ الرّمادْ :
صلواتي سِفرُ أيوبٍ ، وحبّي
دَمعُ ليلى ، خاتمٌ من شهرزادْ
فيكَ يا نهرَ الرّماد "

فدلالة هذه الأسطر تؤكّدُ حبَّ الشّاعر لوطنه الكبير ، وتؤكّدُ تعلُّقَهُ بوطنه الذي نسبَهُ إلى الرَّماد وذلكَ عندما ، جعلَ كلَّ أمسه فيه ، وقد وضعَ لنا نقطتين في نهاية السطر ؛ ليكشفَ لنا عن أمسه الذي كانَ يتغنَّى فيه ، إذ إنَّ صلواتَهُ تحكي سفرَ أيوب الذي أنهكهُ المرض لكنَّهُ كانَ صابرًا ، وحبُّهُ يحكي دمعَ ليلى التي برح بها الهوى فأضناها ، على أنَّ سفرَ أيوب ودمعَ ليلى هما خبران نابعانِ من التُّراث ويربطانه بالتُّراث الأكثر صلةً (كتاب ألف ليلة وليلة)المتمثل ببطلتهِ شهرزاد التي استطاعت أن تدركَ الصَّباح بفكرها ويقظتها . وأنَّ معاناة أيوب ومعاناة ليلى تمثلانِ معادلًا موضوعيًّا لمعاناة خليل حاوي ، بيدَ أنَّ الشّاعر بفكرهِ يستطيع أن يتخطَّى المعاناة مثلما تخطَّتها شهرزاد .

وفي قصيدته الموسومة برحلة السندباد الثّامنة تنبثقُ لديهِ رؤيا تفاؤلية تنبي بمستقبل باهر للأمة العربية ، يشترطُ في نجاحها التطهير من درَنِ الخطيئة ، إذ يقول الشاعر [٩]:

ما كانَ لي أن أحتفي
بالشّمسِ لو لم أركُم تغتسلونَ
الصّبحَ في النّيلِ وفي الأردنِ والفراتْ
من دمغةِ الخطيئهْ
وكلُّ جسمٍ ربوةٌ تجوهرت في الشّمسِ ،
ظلٌّ طيّبٌ ، بحيرةٌ بريئهْ .
أمّا التّماسيحُ مضوا عن أرضنا

وفارَ فيهم بحرُنا وغارْ
وخلّفوا بعضَ بقايا
سُلِخت جلودُهم ،
ما نبتت مطرحَها جلودْ ،
حاضرُهم في عفنِ الأمسِ الذي
ولّى ولن يعودْ
أسماؤهم تحرقُها الرؤيا بعيني
دخانًا ما لها وجود ".

فدلالة هذا المقطع تكمنُ في أنَّ الشاعرَ قد عبَّرَ عن احتفائه بالشَّمس ؛ لأنَّهُ رأى أبناءَ جلدته يغتسلونَ – الظرفية الزمانية – الصبحَ ، في النِّيلِ ، ونهرِ الأردنِ ، والفرات – الظرفية المكانية – من دمغة الخطيئة . على أنَّ فعلَ الاغتسال ، قد أفضى إلى نتيجة مفادُها أنَّ الشَّاعرَ قد أخبرَ عن كلّ جسمٍ يتطهَّرَ سيتحوَّلُ إلى ربوةٍ ، وصفها بأنَّها استحالت إلى جوهرةٍ في الشَّمس ، وإلى ظلٍّ طيِّبٍ وبحيرةٍ بريئة . بينما أخبرَ عن التَّماسيح بأنَّ زمنَهم قد زالَ وولّى عن الأرضِ العربيةِ ؛ لأنَّ البحرَ فار تنورُهُ فأغرقَهم ، فلم يبقَ منهم سوى عددٍ ضئيلٍ مسلوخةٍ جلودُهم ، بلا ماضٍ ولا حاضرٍ وسوى تاريخٍ تنبعثُ منهُ رائحةُ التَّفسُّخِ والعفونة ، وقد أضافَ إلى ذلكَ أنَّ أسماءَهم تحرقُها الرؤيا لتحيلَ الأسماءَ إلى دخانٍ متطايرٍ من دونِ أن يكونَ لها وجود ، . فالفكر في هذا المقطع يتجلَّى في ضرورةِ وجودِ تطهيرٍ جماعي لكافة شرائح المجتمع ، كيما يصنعوا لهم وجودًا حقيقيًا ينعمونَ تحتَ ظلِّه . ولذلك نجد الشاعر استعمل ضمير الجمع (الواو) في تغتسلون ، للدلالة على أهمية التطهير – على نحوٍ جماعي – من كلِّ فعل دنيء .

لكنَّ الرؤيا تتحوَّل فيشيعُ فيها دخانٌ أحمرٌ إذ يقول [١٠]:

ربِّي ، لماذا شاعَ في الرؤيا

دخانٌ أحمرٌ ونارْ ؟
أحببتُ لو كانت يدي سيلًا ،
ثلوجًا تمسحُ الذُّنوبْ
من عفنِ الأمسِ تنمّي الكرمَ والطَّيوبْ ،
تضيعُ في أرضي التَّماسيحُ
وحقدُ الأنهرِ الموحلهْ
وينبعُ البَلسمُ من جرحٍ
على الجُلجُلهْ
أحببتُ ، لا ، ما زالَ حُبِّي مَطَرًا
يسخو على الأخضر في أرضي
عداهُ حطبٌ وقود
تحرقُها الرؤيا بعينيّ دُخانًا
مالها وجودْ ،
وسوفَ يأتي زمنٌ أحتضنُ
الأرضَ وأجلو صدرَها
وأمسحُ الحدودْ "

في هذا النص تتجلى رؤية الشاعر عن غياب الوعي القومي لدى الجماهير العربية،إذ تتغيَّرُ لديهِ الرؤيا ويشيعُ فيها دخانٌ أحمرٌ ونارْ ، فيسألُ الشَّاعر ربَّهُ عن سبب شيوعِ الدخان والنَّارِ في هذه الرؤيا ، بيدَ أنَّ السببَ معروفٌ لديهِ ؛ لأنَّ رؤيا التَّطهير الجماعي في هذا المقطع قد تلاشت ، ولذلكَ أحبَّ الشَّاعرُ أن يتولَّى عمليةِ التَّطهير بنفسهِ ولكن بشرط أن تكونَ يدُهُ سيلًا ، وثلوجًا تمسحُ الذُّنوب من عفنِ الأمسِ ، وتنمي الكرمَ والطَّيوب ، ثمَّ يحبُّ الشَّاعرُ لو تضيعُ في بحرِهِ التَّماسيحُ وحقدُ الأنهرِ الموحلةِ وينبعُ الدواء من جرحٍ على الجُلجلة . ما يعني أنَّ ما يقومُ بهِ من فعلٍ يتطلَّبُ ثمنًا باهظًا يكمنُ في استعدادهِ لبذلِ

حياتِه على غرارِ ما فعلَهُ السَّيد المسيح . ثمَّ يكرِّرُ الشَّاعرُ فعلَ الحبِّ ولكن هذه المرَّةَ يزيلُ أسلوب الشَّرط الموجب للامتناع ، ليؤكِّدَ أنَّ حبَّهُ مستمراً في عطائه إذ إنَّهُ يسخو مطراً على الأخضرِ في أرضِه ليخصبها ، ثمَّ يجعلُ كلَّ شيءٍ ما عدا حبَّهُ حطباً ووقوداً ، تحرقُها الرؤيا بعينيه دخاناً ليسَ لها وجود وتنبثقُ الرؤيا المستقبلية لديه ليتنبّأ بأنَّ الزَّمنَ سوفَ يأتي ويمسحُ الحدودَ ، ولا بدَّ لنا أن نُنوِّهَ بأنَّ فكرةَ مسح الحدود قد استلهمها الشَّاعر من فكر أنطون سعادة ، الذي كانَ يرومُ مسحَ الحدود التي افتعلها الاستعمار ، وهذه من مبادئ الفكر السوري القومي بقصد غرسِ شعور النهضة في أذهانِ القوميين السّوريين ، وهو جزء من متطلَّباتِ تغيير مجرى التَّاريخ الذي كان يهدفُ إليه أنطون سعادة [١١]. لقد استعمل الشَّاعر فعل المسح وركّزَ عليه ،فرؤيا الشاعر رؤيا متشائمة في الوقت الحاضر ، إذ يرى شيوع الدخان الأحمر، وحقد الأنهر الموحلة ، ثم يستشرف الشاعر أملا تتجلى ملامحه عبر ألفاظ (ينبع البلسم ،أحتضن الأرض ، أمسح الحدود) .

وفي قصيدتِه الموسومة بـ(اليعازر) وتحديداً في مقطعِها الثَّامنِ عبَّرَ الشَّاعرُ عن خيبتِه المريرة من غياب الوعي القومي وشيوع الموقف العربي المُتخاذل الذي يتّسمُ بالفردية الذَّاتية المُفرطة بالأنا ، إذ يقول[١٢] :

"امسحي الميِّتَ الذي ما برحت
تخضرُّ فيهِ لحيةٌ ، فخذٌ وأمعاءٌ تَطولْ ،
جاعت الأرضُ إلى شلّالِ أدغالٍ
منَ الفُرسانِ ، فُرسانُ المغولْ ،
هيكلٌ يركعُ في النّارِ
تئنُّ الكتبُ الصّفراءُ تنحلُّ دخانًا
في حُداءاتِ الخيول ."

هنا يطلبُ من ليالي الثَّلجِ أن تُغَيِّبَ الإنسانَ الذي لا تتجسَّدُ فيه مبادئ الاجتماع والنِّضال والدِّفاع عن مقدَّساتِ هذه الأرض ، وقد وصفَهُ بالميِّت ، معنى ذلك أنَّهُ ميِّتُ الفكر والإحساس فحسب ، إنَّهُ ميِّتُ ولكنَّهُ يمشي على الأرضِ ، وله لحية تخضرُّ في وجههِ ولهُ فخذ ينمو وأمعاؤهُ تطول للدَّلالة على شَّراهة النفسِ وحبِّها للحياة أسوةً ببقيةِ أنواع الحيوان ، طبعًا هذا الوصف يفضي إلى نتيجةٍ مفادها أنَّ بعلَ الأرضِ غيرآبهٍ بها ولذلكَ راحت تدعو إلى تغييب الميِّت في الحياة . ومن ثمَّ راحت تعبِّرُ عن جوعِها الشَّديد لإنسانٍ آخر غريبٍ عنها ، إلى شلَّالِ أدغالٍ من الفرسان ، فرسانِ المغول ، على أنَّ المغول والأدغال يرمزانِ إلى الظلام المفضي إلى الموت . أكيد هنا هاجم الشَّاعر الموقف الفردي الذي تبنَّاهُ الإنسان العربي من دونِ أن ينمَّ عن فكرٍ واعٍ يلملم شعثَ العرب وتفرقَهم ؛ لأنَّ الأرضَ بحاجةٍ إلى لملمةٍ لأبناء الأمة ، وجعلهم ينضوون تحتَ رايةٍ واحدة ، ولذلكَ فإنَّ إغراقهم بالفردية يجعلُ الأرضَ تجوعُ إلى شلالِ أدغالٍ من الفرسان ، ولكنَّ هؤلاء الفرسان هم غرباء عنها .

ويؤكد الشاعر رؤيته عن غياب الوعي القومي بشكل واضح في قوله [١٣]:

" ما لثقلِ العارِ
هل حُمِّلْتُهُ وحدي
وهل وحدي تُرى كفَّنتُ وجهي بالرَّمادْ
الجنازاتُ التي يَحملُها الصُّبحُ
تُدوِّي في جنازاتُ السُّهادْ .
الجباهُ انطفأت وانطفأ السَّيفُ
وأضواءُ البروجْ ،
ليسَ في الأفقِ سوى دُخنةِ فَحمٍ
من مُحيطٍ لخليجْ ،
ليسَ في الأفقِ

سوى ضفّةِ نَهرٍ ، وبيوتٍ لا تبينْ
صَدِئت في خيمِ المنفى المفاتيحُ
بأيدي العائدينْ،
ليسَ في الأفقِ
سوى صمتِ السُّؤالْ
عن حُماةِ القدسِ ،
والعارِ المُغنّي خلفَ آثارِ النِّعالْ .
وضميرُ اللهِ صحراءٌ
وصمتٌ يترامى عبرَ صحراء الرِّمالْ ".

يتعجبُ الشَّاعرُ من تحمُّله لثقلِ العار وحدهُ ، ومن تكفينِه لوجهِه بالرَّمادْ ؛ لأنَّهُ هو الوحيد الذي كانَ يعي حجمَ العار النَّاتج عن ضياعِ الأرضِ العربية ، ولذلكَ نجدهُ استعمل ضمير الأنا . بينما تحدَّثَ بصيغة الجمع عن الجباه وقد أخبرَ عنها بالجملة الفعلية (انطفأت) ، ما يعني غيابُ طابعِ البطولة والفروسية عن شعبٍ عُرِفَ بفروسيتِه وبطولتِه وهنا مكمنُ العار . ثمَّ يستأنف بجملة فعليةٍ أخرى ليخبرَ عن انطفاء السَّيف ، ما يعني أنَّ سيفًا واحدًا – في ظلِّ انطفاء الجباه – عاجزٌ عن استردادِ الحقوق ، ثمَّ عطفَ عليها انطفاء أضواء النِّجوم ، الأمر الذي جعلَ أن تُغطِّي الأفقَ دُخنةٌ فَحمٍ من محيطٍ لخليج ولم يبدُ من معالم الوطنِ الكبير إلا ضفَّةَ نهرٍ وبيوتًا غيرَ واضحةِ المعالم ، ثمَّ أخبرَ عن صدئ المفاتيح في خيمِ المنفى كنايةً عن هزيمة الأمة العربية أمامَ العدو الصُّهيوني ، وقد نفى أن يكونَ في الأفقِ غيرَ صمتِ السّؤال عن حماةِ القدس ، ما يعني أنَّ القدسَ ليسَ لها حماة ، ولم يبقَ غير العار المُغنّي خلفَ آثارِ النِّعال ، الذي حُمِلَهُ الشَّاعرُ وحدَه ، معنى هذا أنَّ العارَ متوارثٌ وراثةً عمياء . وقد أنسنَ الشَّاعرُ العارَ فجعلَهُ إنسانًا مغنِّيًا ، يجترُّ غناء العار بدلالة اسم الفاعل (المغني) والشبه الجملة المتمثّلة بـ(خلفَ آثار النعال)، ثمَّ أخبرَ عن

ضميرِ اللهِ بأنَّهُ صحراءٌ ، إنَّهُ يتهكَّمُ من الذينَ يعتمدونَ على معجزاتٍ غيبيَّةٍ تغيِّرُ أحوالَ وجودِهم . ثمَّ عطفَ على هذه الجملة الابتدائية جملة أخرى ؛ ليمنحَ الصمتَ بعداً مكانيًّا ، يغطي صحراء الرمال ، ولعلَّ الشَّاعرَ هنا ، لا يؤمنُ بالحلولِ الميتافيزيقية التي يؤمنُ بها أغلبُ النَّاس .

وفي ديوانِهِ الموسوم بـ(الرعد الجريح)، يتنبأُ الشَّاعر بمعاناتِهِ القومية في المستقبل ، إذ يقول [١٤]:

"فرحةُ الأمِّ التي تحتضنُ
الطِّفلَ الطري
وتباهي بالفتى المنحوتِ
من زهو الصَّفاء المرمري
ما ترى لو تتحدَّى
مِبرداً أعمى خفيًّا
يشتهي التَّشويهَ
يجتاحُ صِحاحَ الجوهري" .

فدلالةِ هذا المقطع تكمنُ في حركتين : الأولى فيها الأمُّ فرحةٌ باحتضانِها لوليدها وتفاخر بهِ ؛ لأنَّهُ جميلُ الهيأة والخلقة ويتّصفُ بالبراءة ، أمَّا الحركةُ الثَّانية فيغيبُ عنها ما ذا سيحصلُ لهُ في المستقبل ؟ ولذلك راحَ يتساءلُ عن حالتِها لو عاشت صراع التَّحدي مع المبرد الأعمى الخفي الذي يشتهي تشويهَ هذا الطِّفلِ البريء الصَّافي ، في إشارةٍ منهُ إلى الصِّراعِ الذي سيوجهُهُ مستقبلًا . فالشَّاعرُ – هنا – يخفي على أمِّهِ رؤيا المستقبل التي مفادُها هو تشويهُ الهوية العربية . ويؤكد الشاعر على أهمية اللغة العربية في بلورة الوعي القومي عبر ذكره (صحاح الجوهري) الذي هو مظهر مهم من مظاهر الموروث اللغوي للأمة العربية ، وغياب وعي الجماهير عمَّا يطال هذه اللغة من تشويه وإخفاء لمعالمها الحضارية.

وفي قصيدته الموسومة بـ(بلاد الغربتين) يحدِّدُ لنا أربعةَ عناصر تكشفُ عن الوجه العربي الصَّافي ، إذ يقول [١٥]:

" جبهتي ، لوني ، لساني ، ويدي
خلعت حولي
مُناخًا عربيًّا ، صافيًا
من بلدي "

فدلالة هذا المقطع تشي بأنَّ هويةَ القومية العربية الصَّافية ترسُمُها أربعةُ عناصرَ هي ، الجبهة الغرَّةُ ، واللون الأسمر ، واللسان العربي المبين ، واليد التي ترمزُ إلى القوة والبطولة والفروسية ، بيدَ أنَّ الشَّاعر قد خصَّصَها – جميعًا – لهُ بإسنادها إلى ضمير المتكلِّم (الياء) ، ثمَّ جعلَها مبتدآت أخبرَ عنها بالجملة الفعلية خلعت ، ما يعني أنَّ هذا الصَّفاءَ العربي قد نُزِعَ عن وجهه ، فلا جبهتهُ ، ولا لونهُ ، ولسانهُ ، ويدهُ ، تعكسُ تلكَ الصُّورة النقية الصَّافية للإنسانِ العربي . لقد تبعثرت تلكَ الصُّورة الصَّافية النَّقية ، فلم يعدْ وجهُهُ يمثِّلُ صفاءَ الأمَّة العربيةِ المعهود .

لقد كرّسَ الشّاعر قصيدته رسالة الغفران من صالح إلى ثمود ليقدِّسَ البطولة القومية إذ نجده يقول [١٦]:

"وتباركت رحمُ التي ولَدَتْ
على ظهر الخيول
- ولَدت وما برحت بتول –

بطلًا يروّي سيفَهُ
لهبُ الشّهابْ
من منبع الشّهب التي التّمعت
حروفًا في الكتابْ "

فدلالةُ هذا المقطع تشي لنا بأنَّ الشَّاعرَ قد استعملَ ألفاظًا قدسيةً ، إذ هو يباركُ رحمَ هذهِ الأمة التي ولدت وما برحت بتول ، أي حسناء جميلة ثابتةٌ على جمالها على الرغم من أنَّها تلدُ على ظهر الخيول ، بطلًا ، وهنا وردَ ذكرُ البطل نكرةً والنَّكرة تفيد العموم ، وقد وصفَ هذا البطل بأنَّ لهبَ الشِّهابِ يروِّي سيفَهُ ، من منبع الشُّهب المرتفعات في السّماء كنايةً عن علو ورفعة وسمو هذا البطل ، بيدَ أنَّ هذه الشُّهب موصوفةٌ بأنَّها التمعت حروفًا في الكتاب . ولعلَّ الشَّاعر يتقاطع في أسطرِهِ هذه مع المتنبي في قولِهِ [١٧]:

إذا ما غامرتَ في شرَفٍ مرومِ فــلا تقنــع بمــا دونَ النَّجــومِ

فطعمُ الموتِ في أمرٍ صغيرِ كطعــمِ المــوتِ في أمــرٍ عظــيمِ

" إنَّ طعمَ الموتِ في الأمر الهيِّن كطعمه في الأمر الشَّديد الصَّعب ... فلا سبيلَ للمغامر إلا أن يقصدَ أسمى الأمور "[١٨]

ويبعدُ الشّاعر الدين عن القومية في قصيدةٍ قصيرةٍ وسمها بـ(في مخفر الحدود) ، إذ نجده يقول [١٩]:

"أغريبٌ أعجميٌّ مسلمٌ

أم مسيحيٌّ غريبٌ أجنبي

- عربيٌّ ، عربيٌّ ، عربي "

فدلالة هذه القصيدة تشي بأنَّ الشَّاعرَ يبعدُ الدينَ عن القومية ، فهو يرفضُ الهويةَ التي تنتسبُ للدِّين ويثبتُها للهوية القومية ، على أنَّ هذا الفكر قد استلهمه من فكر أنطون سعادة ، الذي دعا إلى فصل الدِّين عن الدَّولة بقصد إزالة الحواجز التي تفرِّقُ لحمةَ الشَّعب الواحد [٢٠].

ونجدُ شعارَ الأمةِ العربيةِ متجليًا في قولِهِ [٢١]:

" طوبى لمن حملتْ على عكّازِها

جيلًا تجمَّعَ واحتمى في صدرِها

شررًا وفي يدِها شِعارْ :
" جيلٌ عريقْ "
" وحدهُ جيلٌ عريقْ "
" الغابةُ الخضراءُ يحصدها "
" الحريقْ"
" وتعود ثانيةً "
" لتمرجَ في خلايا الأرضِ "
" نارْ"
" تلغي الفصولَ وتجتني "
" طيبَ الثِّمارِ من البذارْ "
" تنهارُ أصنامٌ يجوِّفُها الزَّمانُ "
" وتشتهي طعمَ الدِّمارْ"
" جيلٌ عريقْ "
" وحدَهُ جيلٌ عريقْ

.

.

.

" جيلٌ عريقْ "
" وحدَهُ جيلٌ عريقْ
."

فدلالةُ هذا المقطع تكشفُ لنا عن شعار الأمة العربية التي استحقت ثناءً من لدن الشَّاعر على الرَّغم من عجزِها وشيخوختِها ، فهي مازالت تحملُ جيلًا يحتمي بها ولذلكَ غدا هذا الجيل في نظرِها جيلًا عريقًا ، ورسمت صورةً لجيلٍ عريق ، يستحقُها هو دونَ سواهُ (وحدهُ جيلٌ عريقْ) ، وقد استشرفت

مستقبلَ هذا الجيل ، فأيقنت أنَّهُ سيعاني من دوامةِ صراعاتٍ على مدارِ الزَّمان ، يتحرقُ فيكادُ يزولُ ، ثمَّ يعاودُ الانبعاث من جديد ليغدو شعلةً من نار تحرقُ الأصنامَ المنطوية في بواطن الزَّمان ، وتنتشي بطيبِ الثِّمارِ من البذار ، ويبقى فلكُ هذا النصِّ يجري في رؤيا دائرية يكونُ الإنتصارُ في الأخير للجيل العريق .

يتِّضحُ لنا ، بعد هذا العرض ، أنَّ الشَّاعرَ نحا بشكل عام ، نحو أبناءِ أمَّتِه ليبثَّ فيهم الوعي القومي من أجل النُّهوضِ بواقعِ أمَّتِهم المجيدة ، التي تشرذمت وتوزَّعت فرقا ، وأصبحَ أبناؤها قطيعًا تتحكَّمُ فيهم الأهواء ، الأمر الذي جعلَهم يتنازعون فيما بينهم بدلًا من أن يستعيدوا أرضَهم السَّليبة ، ولا يتاحُ لهم هذا النّهوض إلا بعدَ أن يتطَّهروا من أدرانِ الخطيئة التي لوَّثت نفوسَهم ، وجعلتهم ينغرسون في حبِّ الذَّات وتغليب المصلحة الخاصَّة على المصلحة العامَّة من دونِ اكتراثِ والتفاتِ لواقعِ الأمَّة العربية التي غدت تشكو من غياب الوعي الحضاري .

المبحث الثّاني

الوعي الطَّبقي

سنحاول في هذا المحور أن نبلورَ مفهومًا للتفاوت الطَّبقي ، ثمَّ بعد ذلك نحاول أن نجدَ لهُ صورًا في شعر خليل حاوي ، ثمَّ نبيِّن موقفَهُ من هذه الظَّاهرة التي جعلت طائفةً من النَّاسِ مسحوقةً .

يقصدُ بالتَّفاوت اللامساواة ، وقد حدَّدَ جانَ جاك روسو ضربين من التّفاوت ، الأول تفاوتًا طبيعيًّا فيزيقيا ، ويقصد به تفاوت بني البشر في السن والصحة ، والقدرة الجسمانية ، والمعنوية ، غيرَ أنَّ هذا التَّفاوت ليسَ بذي أهميَّة – بحسب جان جاك روسو – ، بل الأهمية تكمنُ في الضربِ الثّاني ، أي الضرب الأخلاقي ، والذي يقصدُ بهِ التّفاوت بـ(المدنية ، والسياسة ،

والاقتصاد ، والتربية) ، ويكون هذا التفاوتُ مُصطنعًا ، ويُرادُ به عدم تكافؤ بني البشر في الثّروة والجاهِ والسّلطان والحظوة ، ويشكلُ هذا الضربُ شكلًا من أشكال العنف والإكراه والظلم مهما التمسَ من قوانين تبرِّرُ وجوده [٢٢]. فهذا التّفاوت تخلقُهُ مؤسّسات غير عادلة ، كانَ لها الدور الكبير في رفعِ شأنِ طبقاتٍ والحطِّ من شأنِ طبقاتٍ أخرى ، وهكذا أحدثَت صراعًا عالميًا ، نشأ من تعاضد السلطة مع دعاة التّقليد ، "ضدَّ الحرية والعدالة "[٢٣].

لقد أحسَّ الشّاعر خليل حاوي بالتّفاوت الطّبقي ؛ لأنَّهُ عاشَ الحرمان الذي عانى منهُ أبناء طَبقة العمال الكادحين ، وقد لازمَ هذا الإحساسُ خليلًا منذُ صباه أيّام كانَ عمرُهُ لا يتخطّى الثالثةَ عشرة سنةً ، ففي حينها كانَ طالبًا ثمَّ تركَ المدرسة ؛ ليشتغلَ عاملًا ينقلُ الحجارةَ ويحفرُ التُّراب أسوةً ببقيةِ العمال على الرغم من ضعفهِ وقصورِ طاقته الجسمانية . لقد كانَ هذا الإجراء حتميًا من حتميات الوجود اضطرَّ خليلًا إلى العمل بسبب المرض الذي تعرضَ له والدُهُ زهاءَ عشر سنوات ، بيدَ أنَّهُ عادَ إلى مقاعد الدِّراسة بَعدَ شفاءِ والده ؛ ليواصلَ درسَهُ بالجدِّ والمثابرة ، والوالد يواصلُ عملَهُ ولكنَّهُ يبقى يعاني الفاقةَ والبؤس [٢٤]. الأمر الذي جعلَ الشّاعر يكونُ إلى جانب الطّبقات المحرومة والمقهورة طوالَ فترة حياتِهِ وقد جسّدَ هذه المعاناة في شعرهِ وهذا ما سنحاول أن نثبتَه في هذا المحور .

الآن بعد أن عرفنا مفهوم التفاوت الطّبقي ، سنحاول أن نبيِّنَ موقفَ الشّاعر خليل حاوي من هذه الظاهرة التي ألقت بثقلِها على كاهلِ الشّعبِ اللبناني .

يقول في قصيدتِهِ الموسومة بـ(ليالي بيروت)[٢٥] :

"عُمرُنا الميتُ ما عادت تُدميهِ الذّنوبْ

والنّيوب

ما علينا لو رهنّاهُ لدى الوحشِ ،

أو لدى الثّعلبِ في السُّوقِ المُريبْ
وملأنا جوفنا المَنهوم
من وهجِ النُّضار
ثمّ نادمنا الطّواغيتَ الكبارْ
فاعتصرنا الخمرَ من جوعِ العذارى
والتهمنا لحمَ أطفالٍ صغارْ،
وغفونا غَفوَ دُبٍ قُطبيٍّ
كهفُهُ منطمسٌ ، أعمى الجدارْ"

فدلالة هذا المقطع تتجلّى في أنّ الشّاعرَ يصِفُ لنا عمرِ الجميع بالمِيّت ؛ ويخبرنا بأنّهُ لم يعدْ عمرًا تُدميه الذُّنوبُ و النِّيوبُ ، والشّاعر هنا يكنّي عن كثرةِ الذّنوب التي لم يعدْ يحسُّ بها أو يشعرُ ، لأنّ الموتَ قد اقتحم ضميرَ الإنسان ؛ الذي باتَ لا يشعر بمعاناة أخيهِ الإنسان البائس الفقير ، ولذلك وجدنا الشّاعرَ يبيّنُ لنا سبب عدمِ الإحساس من قبل الجميع ، بما مفادهُ أنّ لا شيءَ على الجميع لو رهنوا عمرَهم لدى الوحشِ ، الذي يقصدُ به رأسَ الهرمِ في السُّلطة أو لدى الثّعلبِ في السُّوقِ المُريبْ ، ويقصد بالثّعلب التّاجر ، الذي يحكمُ سيطرتَهُ على السُّوق ، وقد وصفَ السوقَ بالمريب ؛ لأنّهُ ينمُّ عن عدمِ ثقة الإنسان الفقير به بسبب مكر الإنسان المُحتكر ، وقد عطفَ الشّاعر الجملة الفعلية (ملأنا جوفنا ...) على الجملة الفعلية (رهناهُ ...) ، وهو يريد بأنّهُ لا شيء على الجميع الذينَ ملأوا أجوافَهم الشّرهةَ ؛ لأنّهم قد حقّقوا اكتفاءهم الذاتي من السُّوق ، ثمّ جالسوا الطّواغيتَ الكبارَ ليعتصروا الخمرةَ من جوعِ العذارى ، وليلتهموا لحمَ أطفالٍ صغار ، على أنّ اعتصارَ الخمرةِ ، والتهامِ اللحم ينمُّ عن عدمِ المبالاة ، النّاتج عن انعدامِ الضّمير ؛ لأنّهم يستسهلون ابتلاعِ لحمِ الأطفال ويرتشفون قوتَ العذارى من دونِ أن يردعهم ضمير ، ولذلك جاء عطفهُ للجملة الفعلية بالنّهاية على ما سبقها من جملٍ ليدلّ لنا أن

الاستفهام قد خرجَ عن معناهُ الحقيقي إلى معنى النَّفي ، فلا شيءَ عليهم إذا ما ابتلعوا حقوقَ الآخرين وغفوا غفوَ دبٍ قطبيٍ منطمس الجدار ، في إشارةٍ منهُ إلى التُّخمة التي ملأت بطونهم ، والعمى الذي غشيَ عيونهم والوقر الذي أصمَّ أسماعهم . إذن الفكرة من التَّفاوت الطبقي في هذا المقطع كانَت حاضرةً ؛ لأنَّ طبقةً قريبةً من الطغاة ، لا يعنيها شيء من أمر الطبقة الأخرى المُضطهَدة . على أنَّ الشّاعر قد استخدم الضمير الجمعي (نا) في إشارةٍ منهُ إلى توجيهِ نقده إلى الشُّعراء الذينَ كرَّسوا شعرَهم لخدمة السّلطات الظَّالمة ،ولو حاكمنا النَّصَّ من ناحية الفكر الذي تجسّدَ فيهِ إلى جانب العاطفة ، فسنجد أنَّ من معالمَ طمسِ حضارةِ الإنسان " أن ينصرفَ عن غايتِهِ البشرية الأساسية التي تتلخَّصُ في أن يحسَّ ويفكِّرَ بصورةٍ بشرية ، وأن يستخدمَ ويطوِّرَ قوى العقلِ والحبِّ التي فُطِرَ عليها والتي لا بدَّ أن يصبحَ عاجزًا معاقًا إذا هو لم يعمل على تنميتِها . إنَّ ظاهرة الانحراف هذه أدَّت إلى تحويرِ الذِّهنِ البشري ، قد أدّت أيضًا إلى تحويرِ الذِّهنِ البشري ، قد أدَّت أيضًا إلى تشويهِ مزاجِ الإنسان . فصارت بعضُ الأهدافِ المتضادّة بالضَّرورةِ مع مصالحِ الجوهر البشري ، هي صاحبةِ الكلمة العُليا . فتضاءلت قدراتُ الحبِّ لدى الإنسان ، وأصبحَ مسوقًا أمامَ الرَّغبةِ التي تحدوهُ إلى ممارسةِ سيطرتِهِ على الآخرين "[٢٦].

وفي نصٍّ آخر نجدُ الشّاعرَ ينضمُّ إلى الطبقة الفقيرة ، إذ يقول [٢٧]:

"كدتُ أبكي لابتسامات الصِّغارِ السُّمرِ ،
أطفالي ، وأبناءِ حنيني
إنَّها أصفى من النَّارِ
وأقوى من أعاصيرِ جنوني
طالما روَّضتُهمُم في الرِّيحِ والثَّلجِ
وفي الشَّمسِ على جمرِ الرِّمالْ
شتُهم من معدنِ الفولاذِ سُمرًا

وريـاحينًا طِوالْ،
وأنا من أجلِهم أحرقتُ تاريخي ،
وَطئتُ التَّاجرَ الوغدَ المُرائي
ثعلبٌ يمتصُّ من أعضائِهم
وهجَ دمائي .
كلُّ جيلٍ كنتُ أبنيهِ من السُّمرِ الطِوالْ
لا مكانًا لهُ ، لا بيتًا وخبزًا ،
صفوةُ المطلوب خصيانٌ ضئالْ .
مهنةُ التَّمسيحِ في الفندقِ
لا يبرعُ فيها غيرُ أشباه الرِّجال "

فدلالة هذا المقطع تشي لنا بأنَّ الشَّاعر قد قاربَ البكاءَ على الأجيالِ التي رعاها وتبنَّاها أبناءً لهُ ، وقد استرجعَ في ذهنِهِ رسومَهم يومَ كانوا صغاراً ، يزهونَ بجمالِ الطُّفولةِ الخلّابة الطَّاهرة النَّقية والصَّافية بصفاءِ الفطرة المنغرسة فيهم ، وكثيراً ما كانَ يعلمهم تقلُّباتِ الظِّروف ، والأحوالِ بقصد إعدادِهم للأيام القادمات التي تضمرُ لهم تقلباتِ أحوالٍ جديدة ، يراهم أكثرَ استعداداً لها ، وقد روَّضَهم الشَّاعرُ عليها ، وأرادهم سمراً طوالًا كنايةً عن الشُّجاعة والبطولةِ التي تتجسَّدُ فيهم ، فكانَ الشَّاعر أكثر صلةً بهم ، ولذلك نجدهُ يرسمُ لنا حركةَ تضحياتِهِ من أجلهم بالأفعال التالية :" أحرقتُ تاريخي ، وطئت التَّاجرَ الوغد ، يمتصُّ من أعضائهم " فالشَّاعر في صراعٍ من أجلِهم ، لم يبقِ لهُ تاريخًا ، ولم يبقِ له صديقًا سواهم ، بيدَ أنَّ ما حصلَ يعبِّرُ عن عدم جدوى من تعليمهم ، وترويضِهم ؛ لأنَّ عدمية المكان والبيت والخبز والرُّجولة هي الطاغية ، ولذلكَ كانَ بكاؤُهُ من كلِّ ما يعرقلُ مسيرةَ الإنسان في حياتِهِ المستقبلية . فما قدَّمهُ من تضحيات في سبيلِ هذهِ الأجيال ، جاء استلهامُها من فكر الحزب القومي الاجتماعي السوري الذي تجسَّدَ في قول أنطون سعادة

بما مؤداه :" منذُ تلكَ السَّاعة نقضنا بالفعل حكمَ التَّاريخ وابتدأنا تاريخنا الصَّحيح تاريخَ الحريّة والواجب والنِّظام والقوة ، تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي ، تاريخ الأمة السُّورية الحقيقي "[٢٨]. فتخاذل الأجيال ونكوصها عن المطالبة بحقِّها ؛ ينمُّ عن أجيالٍ لم ينغرس فيها فكرُ مُعلِّمها ، ولذلكَ راحَ الشّاعرُ يحلمُ فيقول[٢٩] :

" أترى يولدُ من حبّي لأطفالي
وحبّي للحياه
فارسٌ يمتشقُ البرقَ على الغولِ ،
على التِّنين ، ماذا هل تعودُ المُعجزات ؟
بدويٌّ ضَربَ القيصرَ بالفُرسِ
وطفلٌ ناصريٌّ وحُفاةْ
روَّضوا الوحشَ بروما ، سحَّبوا
الأنيابَ من فكِّ الطُغاة
ربِّ ماذا
ربِّ ماذا
هل تعودُ المعجزاتْ؟ "

فدلالة هذا النصِّ تكمنُ في تساؤل الشّاعر الذي يبحثُ عن ولادة بطلٍ من حبِّه لأطفاله وحبِّه للحياة ، يمتشقُ السَّيفَ بوجه الغول الذي يرمزُ إلى الطَّاغية ، وبوجه التِّنين الذي يرمزُ إلى المحتكر ، ثمَّ يفتحُ تساؤلًا آخر هو أقربُ إلى اليأس منهُ إلى التفاؤل ، مستعملًا أداتي الاستفهام : (ماذا ، وهل) ، ليبحثَ عن عودةٍ للمعجزات !! ، بيدَ أنَّ الشَّاعر لا يؤمنُ بالمعجزات ، وإنَّما يؤمنُ بالفعل ، ولذلك نجدهُ يرجعُ إلى التَّاريخ ليستحضرَ شخصيَّةَ البدوي الذي ضربَ القيصرَ بالفرسِ ، وطفلًا ناصريًا ، منسوبًا إلى مدينة النَّاصرة ، ثمَّ يعطفُ عليها من التَّاريخ الحديث (حفاة) ؛ ليشركَ الجميعَ بالفعل (روَّضوا)

، على أنَّ الترويضَ هنا هو تطويع الوحشِ من وحشٍ كاسر ، إلى حيوانٍ أليف بروما ، ثمَّ عطفَ جملةً فعليَّةً أخرى على الأولى مؤداها (سحَّبوا الأنيابَ من فكِّ الطغاة) ؛ لتؤدّي نفسَ الدلالة أيضًا التي مؤدَّاها تطويع الحاكم من طاغية ظالم إلى حاكم عادل ، فدلالة الفعلين إذن كانت هي المطاوعة أي مطاوعة الوحش والطّاغية لإرادة الجماهير التي أجبرتهما على الانقياد والانصياع لإرادتها بالقوَّة ، ولذلك راحَ الشَّاعرُ يدعو ربَّهُ مرَّتينِ مؤكّدًا ومعيدًا تكرار التساؤلِ هل تعود المعجزات بالشرق كما هو الشّأن بروما !!. فتوظيف الفكر في هذا الموضع ، يكمنُ في أنَّ الجماهير في روما كانَ فكرُها واعيًا ولذلكَ تحرَّكَت لتستعيدَ حقوقَها المسلوبة ، بينما الإنسان ذو الرأس الجاف ، ليسَ لديهِ القُدرةُ على أن يتصوَّرَ فكرةً جدَّ بهلوانيّةٍ مثلَ التي قفزَت بها جماهير روما فاسترجعت حقوقَها مؤكِّدةً على التَّعددية ، ولذلك يبقى الإنسان الشَّرقي منصاعًا لإرادة الحاكم المستبد ذي الإرادة الواحدة التي لا ترضى بالتعدد ، وبهذا يبقى الإنسان الشرقي مولودًا برأسٍ ثقيل تحتَ راية الطغيان البشري [٣٠].

و في قصيدته الموسومة بـ(ضباب وبروق) تطالعُ الشّاعرُ رؤيا ، يتجلَّى فيها صراعٌ بينَ قطبي : الخير والشَّر فيقول [٣١]:

"في جبالٍ من كوابيس التّخلّي والسُّهادْ
حيثُ حطَّت بومةُ خرساءُ
تجترُّ السَّوادْ
الصَّدى ، والظِّلُّ ، والدَّمعُ جمادْ ،
يتجلّى فارسٌ غضٌّ منيعْ
فارسٌ يمسحُ غصّاتِ الحزانى والجياعْ
ويعرّي الفعلَ
من اسمٍ وظرفٍ وقناعْ

وتودُّ البومةُ الخرساءُ
لو ماتَ الجميعْ
لو توارى الفارسُ الغضُّ المنيعْ "

فدلالة هذا المقطع تعتمدُ على رؤيا الشّاعر التي انبثقت عن شبهِ الجملة الظَّرفية التي تراءت للشّاعر في يقظتِه ، وتتلخَّصُ هذه الرؤيا بحركتين : الأولى حيث حطَّت بومةٌ ، معنى ذلك أنَّ البوم قد تحوَّلت من الحركة إلى السّكون ، وما يزيدُها سكونًا أنَّ الشَّاعرَ قد وصَفَها بالخرساء ، ثمَّ عزَّزَ هذا الوصفَ بوصفٍ آخر بالجملة الفعلية (تجترُّ السَّواد) ، فبمقتضى هذا الوصف تبقى البوم في موضعِها الذي حطَّت فيهِ ساكنةً ، ودلالة السُّكون تفضي بنا إلى الموت . أمَّا الحركةُ الثَّانيّةُ فنجدها في الفعل يتجلَّى والفعل يتجلَّى يدلُّ على الحركة ، والحركة هذه أحدثها الفارس ، ثمَّ زادَ الشَّاعر من الحركة بوصفِه الفارسَ بالغضِّ ، ثمَّ عزَّزَ الوصفَ بوصفٍ آخر هو المنيع ، على أنَّ هذه الألفاظ من المشتقّات التي لها نفسُ الطَّاقة الحركية التي يتمتَّعُ بها الفعل نحو المستقبل . فهذه الحركة هي حركة الفارس التي تعني الحياة ؛ لأنَّهُ يتحرَّكُ ليمسحَ غصَّاتِ الحزانى والجياعْ ، إنَّهُ يتحرَّكُ لإنقاذ المجتمع من الجوعِ والحزن ، ولا بدَّ لنا أن ننوِّهَ – هنا – على أنَّ لفظتي : الحزانى والجياع ، هما لفظتانِ ترمزانِ إلى طائفةٍ كبيرةٍ منسحقة من المجتمع ؛ لأنّهما من جموع التكسير اللتان تدلّانِ على جمعِ الجموع . ثمَّ يتحرَّك ليعرِّي الفعل عن اسمٍ وظرفٍ وقناعٍ ولعلَّ الشَّاعرَ يريدُ بهذه التعرية ، كشفَ زيفِ البوم التي تُظْهِرُ عكسَ ما تُبْطِنُ ، ثمَّ يعرِّي الظَّرفيةَ التي هي عليها ، معنى هذا أنَّهُ يكشفُ السّكونَ الذي حطَّت فيهِ البوم وأخذت تجترُّ السّواد ، لتعبِّرَ عن وجود زائف ، يختفي وراءَ قناعِها الذي تتلفَّعُ به ، فالفارس بهذا العمل قد غيَّرَ حياةَ الحزانى ، من سكون إلى حركة ، من موت إلى حياة ، ومن جوع إلى إشباع . ومن لا مكان إلى مكان . بيدَ أنَّ البوم لم يعُدْ بيدها شيء سوى الأمنيات الواهيّة ، التي لا

تنطوي على شيء سوى الموت للجميع واختفاء الفارس الغضِّ المنيع . أمَّا الفكر الذي يكمنُ وراء توظيف رمز البوم ، ورمز البطل فإنَّهُ يتجسَّدُ في جوهرين لا ثالثَ لهما ، هما جوهر الإنسان الشرير الذي يغدو بهذا الوصف معادلًا موضوعيًا للبوم ، على أنَّ البوم يمتلكُ ثلاثة ظواهر هي من " أشدِّ أشكالِ التَّوجيهِ البشري خطرًا وفسادًا هي : حبُّ الموت ، النرجسيّة الخبيثة ، التَّثبيت السّفاحي التَّعايشي"(٣٢) . بينما الإنسان الذي يمثِّلُ الخير ، يكونُ على طرفي نقيض من البوم ؛ لأنَّهُ يحبُّ الحياة للجميع ، ويبتعدُ عن الذّاتية المقيتة ، ويثبِّتُ العلاقات على أساس مبدأ التَّعايش السِّلمي .

وفي قصيدتهِ الموسومة بـ(رسالة الغفران) يقول(٣٣) :

" الثَّعلبُ الأبدي

في أرضِ الفوارسِ

ينتشي مرحًا وطاغيةً رهيبْ "

ففي هذا المقطع يخبرُ الشّاعرُ عن (الثَّعلب الأبدي) ، بأنَّهُ مستمرٌّ يترنَّحَ فرحًا ، ويترنَّحَ طاغيةً رهيب وقد كانَ يصفُ هيأتَهُ ، بهذه الصِّفات في غيابِ الفوارس في أرضٍ تنبتُ الفوارسَ ، ولذلك أخبرَ عنهُ الشاعر بالجملة الفعلية ، ينتشي للدلالة على امتلاكه الحرية المطلقة التي يتمتَّعُ بها في ظلِّ غيابِ الفارس الغضِّ المنيع ، على أنَّ هذا الفعل هو فعل مضارع يمنحُ المقطع طاقةً حركيةً مستمرةً ، هي حركةُ وصفَ هيأتَها بأنَّها حركة انتشاء تتوزع بين الحالتين الموصوفِ بهما صاحب الحال ، الثَّعلب الأبدي ، فالحالتان هما : مرحٌ ، وطاغيةٌ ، وصفها برهيب . فالفكر هنا يتجسَّدُ في غياب الوعي تمامًا عن المجتمع المنقاد ، الذي يكونُ بهذا الوصف معادلًا موضوعيًا للقطيع . فهذا الجمعُ من النَّاسِ من "السّهل التَّاثير فيهم ، وكأنَّهم أطفال نصف مستيقظين ، يرحبونَ بتسليم قيادِهم لأيِّ شخصٍ ، يتكلَّمُ بصوتٍ عَذْبٍ ، أو مُهدِّدٍ بما يكفي للسيطرة عليهم "(٣٤) .

وتنعكسُ صورةُ النشوة من الطاغية إلى الإنسان المُسْتَرقِّ ، الذي رأى خلاصَهُ بالموتِ كحلٍّ يجعلُهُ ينتشي في حضنِ التُّراب وذلك في قوله (٣٥):

"فالتوى الصاروخُ
عن أهلي وداري
لستُ أنسى الليلَ
في صحبةِ جاري ،
كان جاري ينتشي
بالموتِ في حضنِ الترابْ
وكفى ما خلّفَت
من جثثِ الأمواتِ أنياب الكلابْ."

فدلالة هذا المقطع تنمُّ عن حادثةٍ ألَّمت بالشّاعر راحَ يستذكرُها ، فتلزم هذا المقطع حركتان : الأولى حركة الفعل الماضي النَّاجز ، التي تتمثّلُ بالتواء الصّاروخ عن أهلِ الشَّاعر وداره ، بيد أنَّ هذا الصَّاروخَ قد أصابَ جارَهُ ، فتشكَّلت من هذه الحادثة – في الليل – صورةٌ لن ينساها ، ثمَّ تأتي الحركةُ الثَّانية ليخبرنا عن الهيأة التي كان فيها جارُهُ ، يعاني لحظات الاحتضار ، ففي هذه اللحظات كانَ ينتشي بالموتِ في حضنِ التُّراب ، معنى ذلك أنَّهُ كانَ يتمتَّعُ بالموت فرحًا جذلًا للخلاصِ من واقعٍ لا يجدُ الخلاصَ من شرِّهِ إلا بالموت . ثمَّ يطلبُ الشّاعر أن يعطيه قلبًا قويًا يتحمَّلُ ما تصادفُهُ من قضايا لا يأنسُ الشاعرُ لها في حالة هروبِهِ من واقعِهِ الذي لا يطاق ، إذ يقول (٣٦):

" أعطني إبليسُ قلبًا لا يهابْ
جبلًا يغمرهُ هولُ المهاري
وجنونُ الجنِّ يحتلُّ كهوفه
علّني ألقى خلاصًا
من قطيعٍ يتفانى حولَ جيفه

غلُّهُ يعلكُ أكباد الضحيا
يتفشّى لطخًا صفرًا وزرقًا في بقايا
من جسومٍ شوهت قبل الوفاة
وتعالت نخوة الفرسان
عن غل الخفافيش الطغاة

والشَّاعرُ يريدُ أن يفضحَ أمرًا ، بيدَ أنَّهُ كانَ مترددًا في أولِ الأمر ، غيرَ أنَّهُ بالأخير يبوحُ بالسِّرِّ الكامنِ في صدرِهِ إذ يقول (٣٧):

" لم لا أقول:
خوفٌ خفّيٌّ ينطوي ، ينسلُّ
في صُلبِ الفوارسِ والوُعولْ
يُدوّي ويرتجفُ الحجرْ ،
يمضي فيبتسمُ الضّجرْ،
حرفُ الرّغيفِ
يشدُّ أفواهًا تَئنُّ ، تئنُّ
تلهثُ في مدارْ "

فدلالةُ هذا المقطع فيها فضيحةٌ لا يستطيعُ الشَّاعرُ أن يكتمَها ، فهذه الفضيحة أرادَ الشَّاعرُ فيها أن يعرِّي الفوارسَ والوعول ، التي ترمزُ إلى سادات القوم أو شرفائِها ؛ ليكشفَها عن حقيقتِها ، لأنَّ الخوفَ ينطوي في أعماقِها وينسلُ من صلبِها ، ثمَّ يدوي ليتحرَّكَ الحجرُ مرتجفًا ، فالارتجاف يدلُّ على الخوف ، ثمَّ يمضي الخوف ، ليبتسمَ الضَّجر ، ما يعني أنَّ حالةَ السَّأم والضجر والملل هي الطَّاغية والمهيمنة على الواقع بسبب تنحي الفوارس عن واجبَهم ، و لأنَّهم غافلونَ عن أفواهٍ جائعةٍ فاغرةٍ لحرف من الرغيف ما زالت تئنُ وتئنُ وتلهثُ في مدار متضوِّرةً من الجوع ، لن تجدَ أحدًا يجرؤُ على إيقافِ

عجلات هذا المدار ، مدار الجوع . ولذلكَ فاليأس أخذَ يستحوذُ على هاجس الشَّاعر ، إذ نجدهُ يقول :

تتحدّرُ العينان
في صمتٍ يُحجّرُهُ الذّهول :
إنّ الفجائعَ مُزمنهْ
إنّ الغمائمَ
لونُ ياقوت ، جمّان ، أرجوانْ ،
وبياضَ حلمِ الطّفلِ
يهجعُ
وهو يرضعُ في أمانْ
حُلُمُ
يولّدهُ سوادُ القلبِ
يُزهرُ في عُروقٍ مُوهنهْ
إنّ الفجائعَ مُزمنهْ ،
أدركتُ سرّكَ يا أبا الهول الذي لا يلتقي
عبرَ الزّمانْ
سرًّا أصيلًا يستجدُّ فيعلنهْ "

فاستحكم اليأس في رؤيا الشاعر ؛ لأنه أدرك صمت الجماهير الذي ورثته من أسلافها،إذ ترى حقوقها مسلوبة وهي عاجزة عن ردها ولو بالكلام ، فالسِّرُ الكامنُ في صمتِ أبي الهول يتلاءم وصمتَ الجماهير ؛ لأنَّ الجماهيرَ لا يحرِّكُها النَّفخُ في الصُّور إن جازَ لنا التعبير .

ويتَّضحُ لنا بعد هذا العرضِ أنَّ الشَّاعرَ قد كرَّسَ شعرَهُ الملتزم خدمةً لأبناء وطنِهِ الكبير بقصدِ أن يلغي نظامَ الطَّبقات الذي ألقى بظلالِه على واقعِ الأمّة في جميعِ مفاصلِها السِّياسية والإقتصادية والاجتماعية ، على أنَّ خلاصَ

الإنسانِ مرهونٌ بما يقدِّمُهُ من فعلٍ وعطاءٍ على أرضِ الواقع ، فلا يحسنُ به أن يبقى صامتًا ، يرى حقوقَهُ مسلوبةً ، ويبقى ينتظِرَ من يستردَّ لهُ حقوقَهُ .

الخاتمة

توصَّلنا في هذا البحث إلى أنَّ الشّاعرَ خليل حاوي قد قدَّمَ لنا شعرًا اجتماعيًا التزم فيهِ بأن يقدِّمَ للجماهير وعيًا قوميًا ، ووعيًا يلغي فيهِ التمايزَ الطَّبقي الذي سحقَ الجماهير سنواتٍ طوال . فكانَت ثمرةُ الوعي القومي ، قد تجلَّت في مظاهرِ صورهِ المختلفة ، كشفَ فيها عن واقع يعاني من أزمةٍ حضارية . فقد وجد جماهيرًا منقادةً إنقيادًا أعمى ، ولذلك كرَّسَ شعرَهُ لينقذَ هذهِ الجماهير من هذا الواقعَ المأزوم . و اشترطَ للخلاصِ من هذا الواقع تطهيرَ أبناء الأمةِ من الأدرانِ التي دمغت عقولَهم ، فجعلتهم صامتين عن المطالبة باستردادِ حقوقِهم المسلوبة ، كما ركَّزَ على الالتفات إلى حضارات الأمم الأخرى لينبهَ الجماهير إلى حقيقةِ أفعالِها التي تمكَّنت من خلالِها أن تصنعَ مجدًا لها . ومطالبة الجماهير بالالتفات إلى أرضِها المغتصبة ، أرض فلسطين .

والتفت الشَّاعرُ إلى ظاهرةٍ مجتمعيةٍ سلبيةٍ ، وزعت أبناءَ المجتمع العربي على طبقات ، وقد تجلَّت صور الوعي الطّبقي بمظاهرَ متعدِّدةٍ ، كانَ من بينِها توعية الجماهير للمطالبةِ بحقوقِهم المشروعة كالمطالبة بالحريَّةِ والكرامة وعدم استغلالِ الإنسان لأخيهِ الإنسان واستلابِ خيراتِه ،وقد أرادَ للأجيال مراكزهم المناسبة التي تليقُ بما قدُّموه من عطاء خلالَ سني حياتِهم الدراسية ، كما أرادَ لهم الابتعاد عن التفكُّكِ والتَّشرذم الذي جعلَ أبناءَ الأمَّةِ الواحدة يتنازعونَ على توافه الأمور متناسين أهدافَهم السَّامية والنَّبيلة ومحققينَ للاستعمار غاياتِه ونواياهُ الخبيثة .

هوامش البحث

١ - العواصف :٨٨.

٢ - نشوء الأمم: ١٦٩.

٣- الموضع نفسه .

٤ - نفسه : ٢٢١.

٥ - المجموعة الشِّعرية الكاملة : ٨٦.

٦ - المحاضرات العشر أنطون سعادة ،كتاب الكتروني على الرابط.:
١٠:https://www.facebook.com/damasssnp1932/posts/123711914460988

٧ - ينظر ، الحضارة : ١٧.

٨ - المجموعة الشِّعرية الكاملة: ٩٧.

٩ - نفسه : ١٩٠- ١٩١ .

١٠ - نفسه : ١٩٢- ١٩٣

١١ - المحاضرات العشر : ٢٨.

١٢ - المجموعة الشعرية الكاملة : ٢٤١.

١٣ - ـ المجموعة الشعرية الكاملة: ٢٦٥.

١٤ - نفسه : ٢٨٧-٢٨٨.

١٥ - نفسه : ٣٦٥.

١٦ - نفسه : ٣١٧ .

١٧ - شرح ديوان المتنبي : ٤ : ٢٤٥.

١٨ - الموضع نفسه .

١٩ - قصائد غير منشورة لخليل حاوي: ١١١.

٢٠ - ينظر ، المحاضرات العشر ،: ٣٤

٢١ - نفسه : ٣٣٢- ٣٣٣

٢٢ - ينظر ، خطاب في أصل التفاوت ، وفي أسسه بينَ البشر ، جان جاك روسو ، تعريب ، بولس غانم ، ط الأولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٧ : ٢١٠ .

٢٣ - أسس لإعادة البناء الاجتماعي: ٢٤.

٢٤ - ينظر مع خليل في مسيرة حياتِه وشعرهِ ١٧٥- ١٧٨.

٢٥ – المجموعة الشّعرية الكاملة: ٤٦ .
٢٦ – اللغة المنسيّة ، مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير ،: ٣٧- ٣٨ .
٢٧ – المجموعة الشعرية الكاملة : ١٠٠-١٠١.
٢٨ – المحاضرات العشر : ٩.
٢٩ – المجموعة الشّعرية الكاملة : ١٠٣.
٣٠ – ينظر ، تمرُّد الجماهير: ١٩ .
٣١ – المجموعة الشّعرية الكاملة : ٢٧٧-٢٧٨.
٣٢ – جوهر الإنسان: ٢٠ .
٣٣ – المجموعة الشّعرية الكاملة:٣٣٠.
٣٤ – جوهر الإنسان : ١٣.
٣٥ – المجموعة الشعرية الكاملة : ٣٥٨.
٣٦ – نفسه : ٣٥٩-٣٦٠.
٣٧ –نفسه: ٣٥٢-٣٥٣.

قائمة المصادر والمراجع

- أدب وعروبة ، رجاء النقاش ، الهيأة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط، الأولى ٢٠٠٨ م .
- الأعمال الأدبية ، أنطون سعادة ، الركن للطباعة ، بيروت ، جـ ، الأول ، د. ط ، ١٩٩٦م.
- تمرُّد الجماهير ، خوسيه أورتيغا ، إي غاوست ، تعريب ، علي ابراهيم أشقر ، دار التكوين ، دمشق ، ط ، الأولى ، ٢٠١١م .
- جوهر الإنسان ، إيريش فروم ، تعريب سلام خير بك ، دار الحوار ، سوريا اللاذقية ، ط، الأولى ، ٢٠١١م .
- حديث الأربعاء ، طه حسين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ،جـ ، الثالث ، د، ط ، ٢٠١٤م.
- خطاب في أصل التفاوت ، وفي أسسهِ بينَ البشر ، جان جاك روسو ، تعريب ، بولس غانم ، ط الأولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٧ .

- الشعر والفلسفة صديقان ، فؤاد رفقة ، تعريب إملي نصر الله ، مجلة نزوى – العدد الثامن والسّتون – ٢٠١٠م.
- العواصف جبران خليل جبران، ،،د.ط، دار العرب للبستاني ، الفجالة ، القاهرة ، د، ط ، د.ت .
- قصائد غير منشورة لخليل حاوي ، الآداب ، – العدد السّادس – ، ١٩٩٢م.
- اللغة المنسيّة ،ريك فروم ، مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير ، تعريب حسن قبيسي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،ط، الأولى ، ١٩٩٥م.
- المجموعة الشعرية الكاملة ، خليل حاوي ، دار العودة ، بيروت ، د.ط ، ٢٠١٥م .
- المحاضرات العشر أنطون سعادة ،كتاب الكتروني على الرابط.:
https://www.facebook.com/damasssnp1932/posts/123711914460988.
- نشوء الأمم ، أنطون سعادة ، الكتاب الأول ، د. ط ، ١٩٩٤م .